**المحاضرة الخامسة:**

**النقــــــــد النفسي و اتجاهاتـــه**

**تمهيــــد:**

**سنتناول في هذه المحاضرة نقطتين أساسيتين , أولاهما: الأدب و علم النفس , و ثانيتهما اتجاهات النقد النفسي أو مدارسه.**

**1- الأدب و علم النفس:**

الصلة بين الأدب وعلم النفس وثيقة وعريقة، ولا يحتاج إثباتها إلى تكلف في النظريات، وتعسف في البراهين، بل يغني عن ذلك استحضار حقيقة الأدب، وطبيعة الظاهرة الأدبية من حيث المنشأ والتشكل والتلقي، وكذلك النظر فيما تمارسه الفنون الأدبية من أثر في الحياة، وما تسده من ثغرات في واقع الوجود البشري، وما تعالجه من أزمات يستعصي على علم النفس أن يعالجها بمفرده.

فالأدب في حقيقته، حديث نفس إلى نفس، وبوح وجدان إلى وجدان، ورسالة روح إلى روح، بلغة هي في أصلها رموز لخوالج النفس، ووسيلة لقضاء حاجاتها، نفعية كانت أم عاطفية، والأدب بطبيعته، فعالية نفسية ونشاط وجداني، بواعثه نفسية، وتشكله نفسي، ومسلكه إلى المتلقي هو الحس والغزيرة والوجدان، وهي جميعها تشكل المكونات الأساسية لمفهوم النفس.

وعليه، وما دامت الصلة بين الأدب وعلم النفس مؤكدة، فمن الواضح أن هذه الصلة عرفتها كل المراحل، الأمر الذي دفع الدارسين إلى التمييز في هذا الارتباط بين طورين أساسيين[[1]](#footnote-1)(2):

* الأول: تم الاهتمام فيه برصد العلاقة بين الأدب والنفس على مستوى الإنتاج والتلقي الأدبيين.
* الثاني: تمت فيه بلورة تصورات نقدية مستمدة من علم النفس والتحليل النفسي لدراسة الظاهرة الأدبية وتجلياتها النصية.

وبالتساوق عمل الباحثون والنقاد على رصد المسوغات التي بررت ارتباط النقد الأدبي بالدراسة النفسية خلال هذا التاريخ الطويل، والتي تعطي الشرعية للاستمرار في ذلك، ما دامت تلك المسوغات قائمة، ويمكن تحديد أبرزها في[[2]](#footnote-2)(3):

* الطبيعة التعبيرية والذاتية للأدب.
* الوظيفة التفسيرية للنقد الأدبي.
* الوظيفة التأثيرية للأدب.
* السعي العلمي للنقد الأدبي.

2- **اتجاهات النقد النفسي:**

وواقع الأمر، وأخذا بعين الاعتبار لهذه المسوغات سعى الباحثون إلى تصنيف أنماط الدراسات التي أنتجها علم النفس، والكشف عن توجيهها للنقد الأدبي في معالجته للظاهرة والنصوص الأدبيين من منظور علم النفس، فتباينت هذه التصنيفات تباين الأسس التي اعتمدت عليها، فهناك من أقام هذا التصنيف على أسس جغرافية (علم النفس الفرنسي، علم النفس الإنجليزي، علم النفس الأمريكي...)، وهناك من أقامه على أسس إيديولوجية (علم النفس الليبرالي، علم النفس الاشتراكي)، وهناك من أقامه على حسب المدارس أو الاتجاهات العلم- نفسية.

وعلى العموم، يمكن الاطمئنان إلى التصنيف الذي يميز بين ثلاثة مستويات علم- نفسية، بوصفها مرجعيات لأنماط الدراسة النفسية للأدب، وهي[[3]](#footnote-3)(4):

1. مستوى الوعي: أو علم نفس الوعي، والذي اعتمد مرجعية للنقد النفسي، وهذا المستوى يتخذ علم النفس الوعي مرجعية له، ويتميز بتحديده لموضوع علم النفس في الحياة الداخلية الواعية للإنسان، ولذلك فهو لا يهتم بالحياة الداخلية العميقة واللاواعية للإنسان، كما يهتم بها التحليل النفسي بتفريعاته، كما لا يهتم بالمظهر السلوكي الخارجي للإنسان، كما تهتم به السلوكية، فموضوعه المركزي هو القوى النفسية الواعية المحركة للإنسان والمتحكمة في نشاطه وعلاقاته، والتي تعطيه نكهته المميزة بين الناس، مثل العقل والعواطف والأخيلة كما ركز على ذلك كولردج(Coleridge : 1772-1834)في دراساته. ومثل الروح والعواطف والانفعالات والمشاعر والحدوس العقلية التي ركز عليها برجسون (1859-1941) في تصوراته الجمالية.
2. مستوى السلوك: أو علم السلوك، والذي اعتمد مرجعية لعلم النفس الأدبي. ويتمثل هذا العلم في مدرستين نفسيتين أساسيتين هما: السلوكية والجشطلتية، واللتان اتفقتا على اعتماد المنهج التجريبي في دراساتها، واختلفتا في تصورهما للسلوك الإنساني، ومن ضمنه النشاط الإبداعي.
3. مستوى اللاوعي: أو التحليل النفسي، والذي اعتمد مرجعية للتحليل النفسي للأدب، والذي يعتبر أهم مدرسة نفسية أثرت في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، غربيا وعربيا، قياسا بعلم نفس الوعي. وعلم نفس السلوك، وقد وجد فيه كثير من النقاد ضالتهم لمقاربة الأدب ونصوصه مقاربة علمية، خصوصا وأن فرويد (1856-1939) قد بنى مفاهيمه ونظرياته بناء محكما، وأغرى – في راهنه- بأنه اكتشف حقيقة الشخصية الإنسانية وشخصيات الأدباء معها.

1. (2)–جسوس، عبد العزي: خطاب علم النفس في النقد الأدبي الغربي الحديث، المطبعة الوطنية، مراكش- المغرب (2006)، ص:50 [↑](#footnote-ref-1)
2. (3)- حسين، عبد حميد: الأصول الفنية للأدب. مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة (1964)، ط/2، ص:71. [↑](#footnote-ref-2)
3. (4)– ينظر جسوس، عبد العزيز: إشكالية الخطاب العلمي في النقد الأدبي العربي المعاصر. المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات، مراكش- المغرب (2007)، ط/1، ص:43-51. [↑](#footnote-ref-3)